في التفسير الموضوعي (١)

المعية في القرآن الكريم

د. رمضان خميس
كلية الشريعة جامعة قطر

دار البشير
للثقافة والعلوم

المعية في القرآن الكريم

الطبعة الأولى
1443هـ
2021 م

اسم الكتاب: المعية في القرآن الكريم
التأليف: د. رمضان خميس
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 80 صفحة
عدد الملازم: 5 ملازم
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2021 / 0000
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 278 - 000 - 0

دار البشير للثقافة والعلوم

elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

المعية في القرآن الكريم

د. رمضان خميس

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

دار البشير للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول : مفهوم المعية

حتى يتضح المراد من مفهوم المعية لابد أن نتتبع دلالاتها في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني، فقد ترد اللغة لدلالة اللفظ على معنى ويأتي الاستعمال القرآني موسعا أو مضيقا أو حاصرا هذا المعنى، ونتتبع أيضا الألفاظ المقابلة والمقاربة لهذه المفردة، حتى يسهل بيان المقصود مما نريد ومن هنا سيكون تتبعنا لهذا المفهوم في ضوء النقاط الآتية:

- **المعنى اللغوي والاصطلاحي.**
- **المعية في الاستعمال القرآني.**
- **الألفاظ ذات الصلة :(الحفظ – المصاحبة – الرعاية – ...).**

وعلى بركة الله نقول:

المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي.

المعية نسبة إلى لفظ: (مع)، وهو لفظ يقتضي الاجتماع في المكان، أو الزمان، أو الشرف أو الرتبة، كما يقتضي النصرة.

يقول الراغب الأصفهاني: («مع» يقتضي الاجتماع إما في المكان نحو هما معا في الدار، أو في الزمان نحو ولدا معا، أو في المعنى كالمتضايفين نحو الأخ والأب فإن أحدهما صار أخا للآخر في حال صار الآخر أخاه، وإما في الشرف والرتبة نحو : هما معا في العلو، ويقتضي معنى النصرة وأن

المضاف إليه لفظ مع هو المنصور نحو قوله : ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ أي الذي مع يضاف إليه في قوله: الله معنا هو منصور أي ناصرنا وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ - ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ - ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وقوله عن موسى : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾.)[1]

وهي اسم بدليل قبولها التنوين، ودخول الجار على بعض الآراء، ولها استعمالات ثلاثة:

- تستعمل اسما، فتسكن وتنون.
- وتستعمل حرف خفض .
- وتستعمل كلمة لضم الشيء إلى الشيء.
- وهي كلمة تدل على المصاحبة.

وهو في القرآن لمعان : للقران وهو الأصل نحو : (وإذا كانوا معه على أمر)، وله وللحوق أيضا نحو : (هذا ذكر من معي وذكر من قلبي) وبمعنى « بعد « نحو : (ودخل معه السجن فتيان)، وبمعنى « عند « نحو: (مصدقا لما معكم)، وبمعنى « العلم » نحو:(وهو معهم إذ يبيتون)، وقوله تعالى:(إن الله مع الصابرين)أي لا يفارق قلوبهم وهم في ذكره فيكون بمعنى شهود القلب وبمعنى المتابعة نحو : (وطائفة من الذين

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٧٠)

معك وبمعنى شهود الصورة نحو : (ألم نكن معكم)، وبمعنى شهود القلب نحو : (إنا معكم)، وبمعنى شهودهما معا نحو : (والذين معه ....ويقتضي معنى النصرة وأن المضاف إليه لفظ مع المنصور نحو:(لا تحزن إن الله معنا) (إن الله مع الذين اتقوا) ونحو ذلك كثير في النظم المبين وإن سكنت عينه كان حرفا، وإن فتحت وأضيفت كان ظرفا، وإن فتحت ونونت كان اسما وكنا معا : أي جميعا وفي حكاية سيبويه : ذهبت من معه وإذا قيل : جاء زيد وعمرو كان إخبارا عن (اشتراكهما في المجيء على احتمال أن يكون في وقت واحد أو سبق أحدهما وإذا قيل : جاء زيد مع عمرو، كان إخبارا عن مجيئهما متصاحبين وبطل تجويز الاحتمالين الآخرين)[1]

المعية في الاصطلاح

تستعمل مع (لِلْمُصَاحَبَةِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا مُصَاحَبَةٌ وَاشْتِرَاكٌ إِلَّا فِي حُكْمٍ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَلِذَلِكَ لَا تَكُونُ الْوَاوُ الَّتِي بِمَعْنَى مَعَ إِلَّا بَعْدَ فِعْلٍ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا لِتَصِحَّ الْمَعِيَّةُ. وَكَمَالُ مَعْنَى الْمَعِيَّةِ الِاجْتِمَاعُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ الِاشْتِرَاكُ دُونَ زَمَانِهِ.

فَالْأَوَّلُ: يَكْثُرُ فِي أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ وَالْعِلَاجِ نَحْوُ دَخَلْتُ مَعَ زَيْدٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَ عَمْرٍو وَقُمْنَا مَعًا وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ ... وَالثَّانِي: يَكْثُرُ فِي الْأَفْعَالِ الْمَعْنَوِيَّةِ نَحْوُ آمَنْتُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَتُبْتُ مَعَ التَّائِبِينَ وَفَهِمْتُ الْمَسْأَلَةَ مع من فهمها ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾، وقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(١) الكليات (ص: ٨٣٨، ٨٣٩)

﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾...﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ شَارَكُوهُ فِي الْإِيمَانِ وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الِاجْتِمَاعُ وَالِاشْتِرَاكُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْمَذَاهِبِ)[1]

المطلب الثاني : المعية في الاستعمال القرآني

وردت (مع) في القرآن الكريم مائة وإحدى وستين مرة[2]، وكان ورودها على النحو الآتي:

١- وردت في السور المكية والسور المدنية

٢- لم ترد مفردة، بل وردت مضافة دائما، وكانت إضافتها إما إلى اسم ظاهر، وإما إلى ضمير

٣- وهي في القرآن الكريم تعطي معاني متعددة مدحا وذما، وحقيقة ومجازا، وعموما وخصوصا

٤- وتدل على النصرة والمعاونة

٥- وتأتي للدلالة على مكان الاجتماع

٦- وتأتي للاشتراك عموما من غير ملاحظة المكان والزمان

٧- وتأتي بمعنى العلم والحفظ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٢٧). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٢)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٧١).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: مادة (مع)، ص: ٦٦٨، وما بعدها.

والعلاقة بين دلالتها اللغوية ودلالتها الاصطلاحية واضحة؛ فدلالتها اللغوية على المصاحبة والاشتراك والاجتماع تعني النصرة، والتدبير والحفظ، والرعاية وهي العاني التي يدل عليها المعنى الاصطلاحي، وقد استعملها القرآن الكريم بنفس الاستعمالات اللغوية السابقة، كما مر في الأمثلة.

يقول أستاذنا العلامة الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: وحين نتأمل الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ (مع) ونرد الأشباه والنظائر إلى أصول جامعة، نجدها تتلخص إجمالا في الأنواع الآتية:

النوع الأول: معية الله تعالى لعباده

النوع الثاني: معية العباد لله تعالى.

النوع الثالث: معية الناس لما حولهم من الأحياء والأشياء.[1]

المطلب الثالث :الألفاظ ذات الصلة

وردت بعض المفردات مقاربة للفظة: (المعية) وبعضها مقابل لها، ونتتبع هذه الألفاظ على النحو الآتي:

أولا: الألفاظ المقاربة للمعية:

وردت بعض المفردات تقارب المعية في الدلالة وإن اختلفت عنها في جزء من الدائرة الدلالية لها، ومن هذه الألفاظ:

---

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي: ١٣٠، ١٣١.

١-الحفظ

دارت كلمة الحفظ على معاني الرعاية، وعدم النسيان، والتعهد، وقلة الغفلة، وعدم الضياع أو التفلت، والضبط، والمواظبة، تقول كتب اللغة: (الْحَاءُ وَالْفَاءُ وَالظَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُرَاعَاةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ حَفِظْتُ الشَّيْءَ حِفْظًا، قَالَ اللَّيْث: الحِفْظُ: نَقِيضُ النسْيَان، وَهُوَ التَّعاهُد وقِلَّةُ الغفْلةِ.

والحَفيظُ: المُوكَّلُ بالشَّيْء يَحْفَظُه، يُقَال: فُلانٌ حَفِيظُنَا عليْكُم وحافِظُنا.

... والحَفيظُ من صِفَات الله جلّ وعزّ، لَا يَعْزُبُ عَن حِفظِه الأشياءُ كُلُّها مثقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الأَرْض، وَقد حَفِظَ على خَلْقِه وعباده مَا يعْمَلون من خَيْرٍ أَو شَرَ، وَقد حفِظَ السمواتِ والأرضَ بقدرته وَلَا يَؤُودُه حِفْظُهما وهُو العَلِيُّ الْعَظِيم.

...وَرَجُلٌ حَافِظٌ، وقَوْمٌ حُفَّاظٌ، وهُم الَّذين رُزقوا حِفْظ مَا سَمِعوا، وقلَّما يَنْسَوْن شَيْئاً يَعُونه.

وَقَالَ بَعضهم: الاحْتِفَاظُ: خُصُوص الحِفْظِ، تَقول: احْتَفَظْتُ بالشَّيْء لِنَفْسي.

....وَقَالَ اللَّيْث: التَّحَفُّظ: قِلَّةُ الْغَفْلَة فِي الْكَلَام، والتَّيَقُّظُ من السَّقْطة. والمحافظةُ: المواظبةُ على الْأَمر.

قَالَ الله جلّ وعزّ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ (البَقَرَة: ٢٣٨) أَي واظبوا على إقَامتها فِي مَواقيتها. وَيُقَال: حافَظ على الْأَمر وَالْعَمَل وثابَرَ علَيه بمَعْنًى وحَارَضَ وبَارك إِذا داوم عَلَيْهِ.

والحِفَاظ: المحافَظةُ على الْعَهْد، والمحَامَاةُ على الحُرَمِ ومَنْعُها من العَدُوِّ، وَالِاسْم مِنْهُ الحَفِيظَةُ،)[١]

وهو في الاصطلاح (يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس، ويضاده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، فيقال: حفظت كذا حفظا، ثم يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية)[٢]

أو هو كما عرفه الجرجاني: (ضبط الصور المدركة.)[٣]

أو هو (وهو رعاية العمل علما وهيئة ووقتا وإقامة بجميع ما يحصل به أصله، ويتم به عمله وينتهي إليه كماله.)[٤]

وواضح من خلال التتبع للمادة اللغوية ودوارنها في اللسان العربي العلاقة بينها وبين المعية، فالحفظ يشترك مع المعية في الرعاية والتعهد والمصاحبة، والضبط، وهي معاني موجودة في المعية في جانبها الاصطلاحي.

٢-المصاحبة:

ومن الألفاظ المقاربة للمعية لفظ المصاحبة، والمصاحبة والصحبة تدل على معاني الحفظ والملازمة، والموافقة والمشاركة،(فالمصاحبة: الموافقة والمشاركة في الشيء، ...وَيُقَال: صَحبه الله وأصحبه وَصَاحبه أَي حفظه.

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٢٦٥)، العين (٣/ ١٩٩)، مقاييس اللغة (٢/ ٨٧).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٤٤).
(٣) التعريفات (ص: ٨٩).
(٤)التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٩٨).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: وَقَوله جلّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أَي لَا يحفظون ... وَمِنْه قَوْلهم: لَا صَحبه الله أَي لَا حفظه. وَيُقَال: بأَهْله صُحْبَة الله وَصَاحبه أَي حفظه. وَتقول: أصحبت الرجل إِذا اتبعته منقادا فَأَنا مصحب وَالرجل مصحب. وصاحبته إِذا رافقته فَهُوَ مصحوب.)[١]

كما تدل على المنعة، والحماية[٢]

وفي الاصطلاح: (الموافقة والمشاركة في الشيء، فإن تتابعوا مع ملاقاة واجتماع فأصحاب حقيقة وإن لا فمجاز.)[٣]

وكل هذه الدلالات تبين الصلة بين المعية والمصاحبة، فالملازمة واضح فيها معنى المعية، كما أن المشاركة فيها شيء من الدلالة على العون والنصرة، وهي المعاني ذاتها التي دارت عليها مفردة المعية.

٣-الرعاية:

والرعاية دارت على عدد من المعاني منها الحفظ، والنظر، والمراقبة، والتعهد، والإبقاء، وولاية الأمر، تقول كتب اللغة: راعيت أراعي، معناه: نظرت إلى ما يصير إليه أمري. ...

ورعيت النجوم، أي: رقبتها، وفلان يرعى فلانا إذا تعاهد أمره. ...

---

(١) جمهرة اللغة (١/ ٢٨٠). التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٠٧).
(٢) صحب تهذيب اللغة (٤/ ١٥٤). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٦٢).
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٠٧).

واسترعيته: وليته أمرا يرعاه. .... والإرعاء: الإبقاء على أخيك. وأرعى فلان إلى فلان، أي: استمع، رَعاهُ يَرْعاهُ رَعْيا ورِعايَةً: حفظه، وكل من ولى أَمر قوم فَهُوَ رَاعيهم وهم رَعِيَّته)[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: (١٠٤)

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: (٤٦)

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾المعارج: (٣٢)

والعلاقة واضحة بين الرعاية والمعية ففيها معنى الرقابة والحفظ والعناية، والتعهد.

٤-الضمان

والضمان يدل على الرعاية والمحافظة، ودار في كلام العرب على (الرِّعاية للشيء والمُحافَظة عَلَيْهِ ومنه قولهم في الدُّعاء للمُسافر في حِفْظِ الله وضَمانِه. ....)[2]

---

(١) العين (٢/ ٢٤١). المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٣٨)، المخصص (٣/ ٢٨٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٣٦)، المغرب في ترتيب المعرب (ص: ١٩١)

(٢) غريب الحديث للخطابي (١/ ٦٣٦).

وفي الاصطلاح: (الالتزام، ويتعدى بالتضعيف فيقال: ضمنته المال ألزمته إياه. ... وضمنت الشيء إذا جعلته محتويا عليه فتضمنه. وشرعا: التزام رشيد عرف من له الحق دينا ثابتا لازما، أو أصله اللزوم بلفظ منجز مشعر بالالتزام.)[١]

والعلاقة بين المعية والضمان بيِّنة في الحفظ والرعاية وتفترق المعية عنها في الصحبة والنصرة والمؤازرة.

٥-العندية

وهو لفظ موضوع للقرب، فتارة يستعمل في المكان، وتارة في الاعتقاد، نحو أن يقال: عندي كذا، وتارة في الزلفى والمنزلة، وعلى ذلك قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، [آل عمران/ ١٦٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠٦]،[٢]

وهو لفظ موضوع للقرب. تارة يستعمل في المكان، وتارة في الاعتقاد تقول: (عندي كذا) أي اعتقادي كذا

وأحيانا في الزلفى والمنزلة كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وعلى هذا قيل: الملائكة المقربون و (عند) بمعنى الحضرة نحو: عندي زيد الملك نحو: عندي مال والحكم نحو: زيد عندي أفضل من عمرو، أي في حكمي والفضل والإحسان نحو: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ وقد يغرى بها نحو: (عندك زيدا) أي خذه[٣]

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٢٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٩٠).

(٣) الكليات (ص: ٦٣٤).

يقول صاحب المنار: ويناسب المعية ما ورد في العندية كقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وهي: إما عندية مكان. كهذه الآية والمراد بالمكان هنا الجنة كقوله تعالى حكاية عن امرأة فرعون: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾(٦٦: ١١) وإضافته إلى الرب تعالى للتشريف والتكريم كما قال المفسرون، وإما عندية تدبير وتصرف. كقوله تعالى في هذه السورة: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ وإما عندية حكم. كقوله تعالى في أهل الإفك من سورة النور: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ (٢٤: ١٣) أي في حكم شرعه.)[1]

والصلة بين العندية والمعية واضحة في الصحبة والمشاركة والقرب والزلفى.

٦-اللَّدُنيّة

ومن الألفاظ القريبة من (مع) لفظ (لدن)، هي بجميع لغاتها بمعنى (عند) متضمن لمعنى (من) ولذا بني،[2]

وهو ظرف زمان، وقيل: مكاني كعند، قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ . وسمع لدى بمعنى هل.

والعلم اللدني: ما يحصل للعبد بغير واسطة، بل إلهام من الله تعالى؛ كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى. قال تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ إذ لم يكن نيلهما على يد بشر. وكان

(١) تفسير المنار (١٠/ ١٠٧).

(٢) الكليات (ص: ٨٠١).

من لدنه أخص وأقرب مما عنده، ولهذا قال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ فالسلطان النصير الذى من لدنه سبحانه أخص من الذى عنده وأقرب. وهو نصره الذى أيده به، والذى عنده نصره بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

والفرق بين عند ولدى أن (عند) للحاضر والغائب و (لدى) لا يكون إلا للحاضر تقول: عندي مال وإن كان غائبا، ولا تقول: لدي مال، والمال غائب وتقول: هذا القول عندي صواب، ولا تقول: لدي صواب وتشاركا في كونهما ظرف مكان واستعمالهما في الحضور والقرب الحسيين والمعنويين ...وتفارقا في كثرة جر (عند) بمن خاصة وامتناع جر (لدى) مطلقا، وفي أن (عند) يكون ظرفا للأعيان والمعاني، يستعمل في الحاضر والغائب ...وهما يصلحان في ابتداء غاية وغيرها، ويكونان فضلة نحو: (عندي كتاب حفيظ) وتعربان بخلاف (لدن) في ذلك في لغة الأكثرين، وجر (لدن) بمن أكثر من نصبها، وقد لا تضاف، وقد تضاف إلى الجملة بخلاف (عند) و (لدى).

قال الراغب: (من لدى) أخص (من عند) وأبلغ لأنها تدل على ابتداء نهاية الفعل، ولا يدخل على (عند) من أدوات الجر إلا (من) لأنها أم حروف الجر ولأم كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزية، كما خصت (إن) المكسورة بدخول اللام في خبرها، و (كان) بجواز إيقاع الفعل الماضي

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٦).

خبرا عنها، وباء القسم بأن تستعمل مع ظهور فعل القسم، وبدخولها على الاسم المضمر[١]

وتشترك مع ولدن في الظرفية الزمانية والمكانية، وخصوصية الصحبة، والصحبة في الحضور والغيبة،

ثانيا: الألفاظ المقابلة للمعية

وهناك بعض الألفاظ التي تقابل المعية ومن هذه الألفاظ ما يأتي:

١-الضدية

الضدان الشيئان اللذان تحت جنس واحد ، وينافي كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة، وبينهما أبعد البعد كالسواد والبياض، والشر والخير، وما لم يكونا تحت جنس واحد لا يقال لهما ضدان، كالحلاوة والحركة. قالوا: والضد هو أحد المتقابلات، فإن المتقابلين هما الشيئان المختلفان، اللذان كل واحد قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد، .... وقيل: الله تعالى لا ند له ولا ضد، لأن الند هو الاشتراك في الجوهر، والضد هو أن يعتقب الشيئان المتنافيان على جنس واحد، والله تعالى منزه عن أن يكون جوهرا، فإذا لا ضد له ولا ند، وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم/ ٨٢]، أي:منافين لهم. قال الفراء: أي عونا، فلذلك وحده. وقال عكرمة: أي أعداء. وقال الأخفش: الضد يكون واحدا ويكون جمعا[٢]

---

(١) الكليات (ص: ٦٣٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٠٣). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٤٦٤). الكليات (ص: ٥٧٤).

٢-الندية

قال صاحب مقاييس اللغة: النون والدال أصل صحيح يدل على شرود وفراق. وند البعير ندا وندودا: ذهب على وجهه شاردا. ومن الباب الند والنديد: الذي يناد في الأمر، أي يأتي برأي غير رأي صاحبه. [١]

و الند هو المثل المناد من قولك ناد فلان فلانا إذا عاداه وباعده ولهذا سمي الضد ندا وقال صاحب العين

الند ما كان مثل الشيء يضاده في أموره والنديد مثله والندود الشرود والتناد التنافر ...وأصل الباب التشريد فالند لمناداته لصاحبه كأنه يريد تشريده[٢]

وواضح من دوران المادة التقابل والتناد وفيه من عكس المعية ما هو بيِّن

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٥). الكليات (ص: ٩١٣).
(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٥٤).

المبحث الثاني :

أنواع معية الله تعالى لعباده

الراصد لآيات القرآن الكريم في المعية والمتتبع لها يجد أنها تدور حول قطبين أساسين أو محورين رئيسين: معية عامة لعموم الخلق، ومعية خاصة يتميز بها بعض عباد الله تعالى بشروط محددة، مقرونة بصفات مبينة.

والمعية لها دلالتان، معية بالذات ومعية بالصفات، ومعية الله تعالى لعباده المقصودة معية بالصفات لإجماع المسلمين سلفا وخلفا على أن معية الذات غير مرادة، وإنما المراد معيته (تعالى) بصفاته اللائقة بمعنى المعية، كالعلم والحفظ والنصرة ونحوها[1]

ويمكننا أن نتتبع هذين النوعين على النحو الآتي:

المطلب الأول :معية عامة.

والمعية العامة تكون لعموم الخلق وهي بالرَزق والعلم والتدبير مما يليق به (تعالى) ويصلح للخلق عامة، وقد وردت آيات كريمة تؤكد هذا المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة: (٧).

---

(١) انظر بحث أستاذنا العلامة د عبد الستار سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٩، ومراجعه: الأسماء والصفات للبيهقي: ٤٣٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن للعلامة الزرقاني: ٢/ ١٨٢.

والمعنى: (لا يتناجى ثلاثة فيما بينهم، ولا يتكلمون فيما بينهم بكلام الشر إلا هو رابعهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. ولا خمسة إلا هو سادسهم يعني: كان هو سادسهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم يعني: عالم بهم وبأحوالهم أين ما كانوا في الأرض. ثم ينبئهم بما عملوا يعني: يخبرهم بما عملوا يوم القيامة من خير أو شر.)[١]

(يسمع سرهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] يقول: ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ [المجادلة: ٧] يقول: ولا أقل من ثلاثة ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: ٧] من خمسة ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] إذا تناجوا ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] يقول: في أي موضع ومكان كانوا. وعنى بقوله: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه، وهو على عرشه)[٢]

وقال أهل المعاني: (يريد: قربة بالعلم،)[٣]

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٤١٦)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/ ٣٥٩)، تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٥٩)، تفسير القشيري (٣/ ٥٥١).

(٢) جامع البيان:(٢٢/ ٤٦٨)،

(٣) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٨٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٥/ ١٩٤). تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤٥).

ومعنى كونه معهم: (أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه، فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة.)[١]

والسر في تخصيص الثلاثة والخمسة؛ لأنها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع)[٢]

أو أن السر في تخصيص العدد : (أنّ أهل التناجي في العادة طائفة من أهل الرأي والتجارب، وأول عَدَدهم الاثنان فصاعداً، إلى خمسة، إلى ستة، إلى ما اقتضته الحال)[٣]

ومن لطائف الشيخ السعدي رحمه الله ربطه البديع بين صدر الآية وعجزها، واستنباطه لهذا المعنى اللطيف في المعية وهي أن هذه المعية، معية العلم والاطلاع؛ ولهذا توعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم.)[٤]

فمعية الله تعالى العامة للناس معية علم واطلاع وانكشاف ومشاهدة.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٩٠)، زاد المسير في علم التفسير: (٤/ ٢٤٥). محاسن التأويل (١/ ٣٨٠).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (٣/ ٤٤٧).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (٧/ ٣٣٩)

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٨).

المطلب الثاني : معية خاصة.

وإذا كنا قد عرفنا المعية العامة التي تعني العلم والإحاطة، والرزق والتدبير والرعاية، فإن هناك معية أخرى خاصة يمنحها الله (تعالى) لعباده المؤمنين الذين استجمعوا صفات يحبها الله ويدعوهم إليها، وهي عندئذ تعني النصر، والمعونة، والتأييد، والرعاية، والرحمة، والعناية، أو رفع الدرجات أو تكفير السيئات، أو الإكرام في الحياة، ونحو ذلك مما يستحقه المؤمنون الصالحون، وتنوع ورود هذا اللون من المعية في القرآن الكريم، كما سيأتي، ويضاف إلى هؤلاء المكرمين المنعم عليهم بهذه المعية الخاصة أصناف أخرى، منها

- معيته تعالى للأنبياء عليهم السلام، ومنه قوله تعالى: لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، طه: ٤٦. والآيات في معية الله تعالى للأنبياء كثيرة وسيأتي مزيد بيان لمعية الله تعالى للرسل في مبحث خاص.

- معيته تعالى للملائكة.

- معية الله (تعالى) لعباده المؤمنين.

وهنا فلنتتبع معية الله تعالى لملائكته ولعباده المؤمنين على النحو الآتي:

١- معية الله تعالى للملائكة

والمعية هنا معية الإعانة والنصر والتثبيت والتأييد، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، الأنفال: ١٢. يعني) ألهم ربك الملائكة،

أني معكم، أي: معينكم وناصركم، فثبتوا الذين آمنوا، يعني: بشروا المؤمنين بالنصرة، فكان الملك يمشي أمام الصف فيقول: أبشروا فإنكم كثير وعدوكم قليل، والله تعالى ناصركم.[١])

لكن كيف يكون إيحاء الملائكة إلى المؤمنين، إما أن يكون عن طريق الظهور المباشر في صورة رجال، وإما عن طريق الإلهام، يقول القشيري في لطائفه: (قيل كانوا يظهرون للمسلمين في صور الرجال يخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد المشركين واستيلاء المسلمين عليهم، وهم لا يعرفون أنهم ملائكة.

وقيل تثبيتهم إياهم بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخواطر، ثم إن الله يخلق لهم فيها ذلك، فكما يوصل الحق سبحانه- وساوس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الملك، وأيدهم بإلقاء الخوف والرعب في قلوب الكفار.)[٢]

وإلقاء الرعب في نفوس المشركين فيه نصر للمؤمنين وتأييد لهم، فلا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم. واجتماعهما غاية النصرة. ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة.)[٣]

---

(١) بحر العلوم (٢/ ١١).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٦٠٧). زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٩٣).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٠٤). معالم التنزيل: (٣/ ٣٣٣).

أو يكون التثبيت بحضورهم معهم الحرب وتكثير سوادهم، أو محاربتهم معهم، أو طمأنتهم وقولهم لا بأس عليكم ولا خوف من عدوكم، فكان الملك يسير أمام الصف في، صورة الرجل ويقول: سيروا فإن الله ناصركم. ويظن المسلمون أنه منهم[١]

٢- معيته تعالى للمؤمنين

وقد وردت آيات القرآن الريم تبين معية الله (تعالى) الخاصة لعباده المؤمنين الذين لهم صفات تؤهلهم لهذه المعية مثل الصبر والإحسان والتقوى ونحو ذلك من صفات تعينهم على أن يكونوا أهلا لمعية الملك سبحانه، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، البقرة: ١٥٣.

ومعنى المعية هنا النصر والمعونة، والمظاهرة، فإن من كان الله معه فهو ناصره وظهيره وراض بفعله، كقول القائل: «افعل يا فلان كذا وأنا معك»، يعني: إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه.[٢]

وعلى الرغم من أن الله تعالى مع كل أحد معية عامة إلا أنه مع الصابرين معية خاصة، وقد خصهم بالمعية حتى يعلموا أن الله سبحانه وتعالى بمعيته

---

(١) تفسير القرآن: (١/ ٥٢٧). الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٧٨). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٥٢).

(٢) جامع البيان: (٣/ ٢١٤).

لهم يفرج عنهم، وينصرهم، لقد استوجبوا نهاية الذخر، وعلو القدر حيث نالوا معية الله .[١]

قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول) : لفظ المعية في كتاب الله جاء عاما كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وفي قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] إلى قوله هو معهم أين ما كانوا وجاء خاصا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص. فإنه قد علم أن قوله (لا تحزن إن الله معنا) أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) خصهم بذلك دون الظالمين والفجار.

وأيضا، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى. كما في قوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ومثل هذا كثير. فامتنع أن يكون قوله وهو معكم يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق. وقد

(١) بحر العلوم (١/ ١٠٥)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٢١)، لطائف الإشارات:(١/ ١٣٨) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٣٦). تفسير البغوي:(١/ ١٨٥).

بسط الكلام عليه في موضع آخر وبين أن لفظ المعية في اللغة، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو، إذا كان مع العباد، لم يناف ذلك علوه على عرشه. ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه. فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان. ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد.[١]

وهذه المعية المقتضية للنصر والعون والإمداد معية خاصة كما سبق، (فالله ناصرهم ومجيب دعوتهم، ومن كان الله ناصره فلا غالب له، أما الجازع فقلبه لاه عن ذكر الله، والقلب اللاهي ممتلئ بهموم الدنيا وأكدارها، وإن حاز الدنيا بحذافيرها.

وقد جرت سنة الله أن الأعمال العظيمة لا تنجح إلا بالثبات والدأب عليها، ومدار ذلك كله الصبر، فمن صبر فهو على سنة الله والله معه، فيسهل له العسير من أمره، ويجعل له فرجا من ضيقه، ومن لم يصبر فليس الله معه، لأنه تنكب عن سنته، فلن يبلغ قصده وغايته.)[٢]

وكما أن الله تعالى مع الصابرين والمحسنين فهو كذلك مع المتقين، قال (تعالى): ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، قال ابن عباس: «يريد مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلفهم من أمره ونهيه» (٢)، قال الزجاج: «تأويله أنه ضامن لهم النصر»)[٣].

---

(١) محاسن التأويل (١/ ٤٣٧)

(٢) تفسير المراغي (٢/ ٢٣).

(٣) التفسير البسيط (١٠/ ٤١٧)، درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة (١/ ٣٦٠).

وكما تكون المعية بالتأييد تكون كذلك من الظلم بالنصرة والظفر بالمعونة والحفظ والعلم.[١]

وتبدو السننية في هذه المعية الكريمة في تركيبة الآية إذ عبر فيها بالمشتق، كما هي صور ورود السنن في القرآن الكريم.

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٣٠٨)، مفاتيح الغيب (٥/ ٢٩٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣١). التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٣٩).

المبحث الثالث

أساليب القرآن في إنكار وجود آلهة مع اللّه

وردت كلمة (مع) مضافة إلى الله تعالى أو إلى الضمير الكريم في القرآن ثماني عشرة مرة، وكلها تستنكر وجود آلهة مع الله، وتعددت أساليب القرآن الكريم في بيان نفي أن يكون مع الله آلهة أخرى، فمرة يأتي البيان في صورة النفي ومرة في صورة النهي، وثالثة في صورة الخبر التهديدي، وأخرى في صورة الشرط، وأخرى في صورة الاستفهام الإنكاري، وفي الصفحات الآتية نحاول أن نتتبع هذه الصور على النحو الآتي:

المطلب الأول : النفي الصريح.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنهى نهيا صريحا عن اتخاذ آلهة مع الله تعالى، ومن المواطن التي ورد فيها ذلك في مقام بيان وعد الله تعالى بالاستخلاف للمؤمنين قوله تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾، النور: (٥٥).

وفيها بيان للعلاقة بين عدم الشرك بالله والاستخلاف في الأرض كما هو واضح في الآية، وورد كذلك في مقام بيان صفات المؤمنين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ المؤمنون: (٥٩)

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان: ٦٨

والمعنى: لا يشركون به شيئا، بل يوحدونه ويخلصون له العبادة والدعوة[1]

وقد ورد في السنة في هذا المعنى: عن عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ أنْ تَجْعَلَ لله نِدّا وهُوَ خَلَقَكَ، قلت: ثم أي؟ قال: أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ، قلت: ثم أي؟ قال: أنْ تُزَانِي حَلِيلَةِ جَارِكَ» فأنزل تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية[2]

كما ورد النفي في القرآن في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، المؤمنون (٩١).

ونلمح في سياق الآية الكريمة مع النفي ترتيبا عجيبا يغري العقل بالتفكر، والذهن بالعمل، والمنطق بالتحرر والانطلاق، وهو ترتيب الانفصام والانفصال بين هذه الآلهة المزعومة إن وجدت وبين وجودها، وهذا ما اعتمده علماء العقيدة في أدلة وبراهين نفي الشركاء والآلهة عن الله تعالى.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٠٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، (٨/ ٨) سنن أبي داود، باب في تعظيم الزنا: (٢/ ٢٩٤) سنن الترمذي باب ومن سورة الفرقان (٥/ ٣٣٧) سنن النسائي باب ذكر أعظم الذنب (٧/ ٨٩).

المطلب الثاني : النهي الصريح.

ومن أساليب القرآن في نفي المعية عن الله تعالى : النهي الصريح، وهذا أشد في نفي المعية وأقوى، ومن هذه المواضع التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾الإسراء: ٢٢

والمعنى لا تتخذ مع الله إلها آخر فتصير إلى الذم لأنك أسندت النعمة إلى غير منعمها وحمدت من لا يستحق الحمد وغمط صاحب الفضل والنعمة وساعتها تصير مذموما لاختلال النظر لديك وفساد الحكم في ناظريك، ومخذولا لأن صاحب النعمة والمنة سيكلك إلى من تألهت له وتعبدت فيه، وليس هو من ينصر ولا يعين

وقوله (تقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت، كأنها حربة بمعنى صارت، يعنى: فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك، والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له.[1]

ويبين الإمام الرازي سبب هذه العقوبة الشديدة والجزاء الوفاق الذي يتناسب مع هذه الجريمة النكراء والعمل الكالح بصورة منطقية عقلية فيرى أن من أشرك بالله كان مذموما مخذولا، والذي يدل على أن الأمر كذلك وجوه:

الأول: أن المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان.

الثاني: أنه لما ثبت بالدليل أنه لا إله ولا مدبر ولا مقدر إلا الواحد الأحد، فعلى هذا التقدير تكون جميع النعم حاصلة من الله تعالى، فمن

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٥٧)،

أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم إلى غير الله تعالى، مع أن الحق أن كلها من الله، فحينئذ يستحق الذم، لأن الخالق تعالى استحق الشكر بإعطاء تلك النعم فلما جحد كونها من الله، فقد قابل إحسان الله تعالى بالإساءة والجحود والكفران فاستوجب الذم وإنما قلنا إنه يستحق الخذلان، لأنه لما أثبت شريكا لله تعالى استحق أن يفوض أمره إلى ذلك الشريك، فلما كان ذلك الشريك معدوما بقي بلا ناصر ولا حافظ ولا معين. وذلك عين الخذلان.

الثالث: أن الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة، فمن أثبت الشريك فقد وقع في جانب النقصان واستوجب الذم والخذلان، واعلم أنه لما دل لفظ الآية على أن المشرك مذموم مخذول وجب بحكم الآية أن يكون الموحد ممدوحا منصورا..[1]

ومن لطائف البيان القرآني هنا أن الأمر على الرغم من عمومه وأنه موجه إلى كل الخلائق إلا أن التكليف والتوجيه أتى بصيغة الفردية ووجه إلى المفرد ليحس كل أحد أنه أمر خاص به، صادر إلى شخصه. فالاعتقاد مسألة شخصية مسؤول عنها كل فرد بذاته، والعاقبة التي تنتظر كل فرد يحيد عن التوحيد أن «يقعد» «مذموما» بالفعلة الذميمة التي أقدم عليها، «مخذولا» لا ناصر له، ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه. ولفظ «فتقعد» يصور هيئة المذموم المخذول وقد حط به الخذلان فقعد، ويلقي ظل الضعف فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٣٢٠)، تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٦٤)،

وعجزا، وهو يلقي كذلك ظل الاستمرار في حالة النبذ والخذلان، لأن القعود لا يوحي بالحركة ولا تغير الوضع، فهو لفظ مقصود في هذا المكان.[١]

وهذا التذييل هو فذلكة لاختلاف أحوال المسلمين والمشركين، فإن خلاصة أسباب الفوز ترك الشرك لأن ذلك هو مبدأ الإقبال على العمل الصالح فهو أول خطوات السعي لمريد الآخرة، لأن الشرك قاعدة اختلال التفكير وتضليل العقول[٢]،

ومن هذه المواضع التي نفى فيها سبحانه المعية بصورة النهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ الإسراء:.٣٩

والمعنى: واحذر أيها المكلف أن تتخذ مع الله إلها غيره ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ إن فعلت ذلك فقد حق عليك أن ترمي وتطرح في نار جهنم في مهانة وذلة ، وأنت معلوم من نفسك على ما اقترفت وملوم من الملائكة خزنة جهنم حين تعنفك [٣]

ولا يحتاج إلى بيان هنا أن الخطاب وإن كان واردا للنبي ﷺ إلا أن المراد به أمته لاستحالة صدور ذلك منه فهو المعصوم[٤]،

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٦٤)،

(٣) التفسير الوسيط :(٥/ ٧٥٨) جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٤٥٢)، التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ٣٩١).

(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٨) تفسير السمعاني (٣/ ٢٤٣) عالم التنزيل: (٣/ ١٣٥).تفسير القرآن العظيم:(٥/ ٧٧). محاسن التأويل (٦/ ٤٦١).

ويلاحظ أن الآيات الكريمة السابقة صدرت بالنهي عن الشرك وبيان أن الله تعالى قضى بأن لا يعبد إلا إياه، وكرر النهي هنا للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ورتب عليه أولا ما هو عائده الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى: فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك.[١]

ومن لطائف النص القرآني البديع ما ذكره الإمام الشوكاني بأن القرآن راعى في هذا التأكيد دقيقة فرتب على الأول كونه مذموما مخذولا، وذلك إشارة إلى حال الشرك في الدنيا، ورتب على الثاني أنه يلقى في جهنم ملوما مدحورا وذلك إشارة إلى حاله في الآخرة، وفي القعود هناك، والإلقاء هنا، إشارة إلى أن للإنسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة[٢]

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾، [الشعراء: ٢١٣].

ونلاحظ هنا شدة النهي وترتب العذاب على الاتخاذ إن وجد، مع ذكرنا منهجية القرآن في خطاباته للنبي ﷺ والتي غالبا ما تصدر بما يشعر بأنها ليست عتابا مثل عفا الله عنك لم أذنت لهم) ومثل(عبس وتولى) بصيغة الغائب، والخطاب هنا وارد على تحذير غيره مبالغة بذكره هو ﷺ، كأن القرآن يقول إذا كان هذا تهديدنا ووعيدنا لك فكيف يكون لغيرك.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٧٧)،

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٢).

كما قال الإمام القرطبي: المعنى قل لمن كفرا هذا القول تهديدا له بالتعذيب. وقيل: هو مخاطبة له عليه لسلام وإن كان لا يفعل هذا، لأنه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره. ودل على هذا قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أي لا يتكلون على نسبهم وقرابتهم فيدعون ما يجب عليهم.[١]

، قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك.[٢]

وورد التركيب بهذه الصورة فخوطب به النبيﷺ مع ظهور استحالة صدور المنهى عنه منهﷺ تهييجا وحثا على ازدياد الإخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه[٣]

كما حفل القرآن الكريم بآيات أخرى تنص على النهي عن المعية كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن:(١٨).

المطلب الثالث : الاستفهام الإنكاري.

ومن أساليب القرآن في إنكار آلهة مع الله: استعمال الاستفهام الإنكاري.وقد ورد هذا في مواطن متعددة من القرآن الكريم كقوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ١٤٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٨٦،

(٢) معالم التنزيل : (٣/ ٤٨٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٩٨)،

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٦٧)، في ظلال القرآن (٥/ ٢٦١٩)، التحرير والتنوير (١٩/ ٢٠٠)،

تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، الأنعام:١٩.

والمعنى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: قل لهؤلاء المشركين، الجاحدين نبوتك، العادلين بالله، ربا غيره: «أئنكم»، أيها المشركون «لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى»، يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام. تفسير الطبري ثم قال لنبيه محمد ﷺ: «قل»، يا محمد «لا أشهد»، بما تشهدون: أن مع الله آلهة أخرى، بل أجحد ذلك وأنكره فإنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة وقل: وإنني بريء من كل شريك تدعونه لله، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه معه، لا أعبد سوى الله شيئا، ولا أدعو غيره إلها.[1]

إنه لما بين تعالى شهادته التي هي أكبر الشهادات على توحيده قال قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله والمكذبين لرسله ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ أي إن شهدوا فلا تشهد معهم.

فوازن بين شهادة أصدق القائلين ورب العالمين وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له وشهادة أهل الشرك الذين مرجت عقولهم وأديانهم وفسدت آراؤهم وأخلاقهم وأضحكوا على أنفسهم العقلاء.

---

(١) جامع البيان:(١١/ ٢٩٢)،

بل خالفوا بشهادة فطرهم وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع الله آلهة أخرى مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة فضلا عن الحجج واختر لنفسك أي الشهادتين إن كنت تعقل ونحن نختار لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه الذي أمرنا الله بالاقتداء به فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه كما أنه المنفرد بالخلق والتدبير.[١]

وهذا تقرير لهم مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم[٢]

ففيه إنكار عليهم توبيخ وتقريع.[٣]

المطلب الرابع : الخبر التهديدي.

ولقد تنوعت أساليب القرآن في نفي وجود آلهة مع الله تعالى، ومن هذه الأساليب: الخبر التهديدي، وتكرر هذا في القرآن الكريم مرات عديدة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ، الحجر: ٩٥، ٩٦.

وواضح في الآية الكريمة بلاغة التهديد، وشدة الوعيد خاصة في قوله (تعالى): ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، خاصة إذا قر في ذهن السامع والمخاطب من الذي يهدد ويتوعد، فهو رب الكون وصاحب الأمر والنهي سبحانه، فقد وعده الله تعالى كفاية هؤلاء المستهزئين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٣).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١١)، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٥)

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٣٩٩).

والمعنى أن الله (تعالى) يقول لنبيه محمدﷺ: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين. وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين.(١)

وفي الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام. وتهوينا للخطب عليه، بأنهم أصحاب تلك الجريمة العظمى، التي هي أكبر الكبائر، التي سيخذلون بسببها. كما قال: فسوف يعلمون أي عاقبة أمرهم. ... وفي الآية وعيد شديد لمن جعل معه تعالى معبودا آخر. وقد أشار كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: إنا كفيناك المستهزئين عنى به ما عجله من إهلاكهم.(٢)

ومن الآيات التي حملت الخبر التهديدي لمن يجعل مع الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المؤمنون:١١٧.

والمعنى: ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به، أي: لا حجة ولا بينة له به لأنه لا حجة في دعوى الشرك فإنما حسابه، جزاؤه، عند ربه. يجازيه بعمله (٣).

والمعنى الذي له عند ربه أنه لا يفلح - ... ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ فيجازيه عليه كما قال:﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٤)

---

(١) جامع البيان:(١٧/ ١٥٣)،

(٢) محاسن التأويل (٦/ ٣٤٦)،

(٣) تفسير البغوي : (٣/ ٣٧٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٥). بحر العلوم (٢/ ٤٩٢).

وفي الآية إنذار لكل من يدعو مع الله إلها آخر ويشركه معه في الاتجاه والعبادة بدون برهان. فحسابه عند ربه ولن يلقى فلاحا.[١]

ومن أشد الآيات التي تهدد من يتخذ مع الله إلها آخر قوله تعالى:

﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ﴾، ق: ٢٤- ٢٦.

وهذا تصوير لمآله يوم القيامة وموقف الملائكة منه، والتعبير بالإلقاء هنا مشعر بهول الموقف، والإلقاء في العذاب الموصوف بالشدة، وترتيب الجزاء على الاسم الموصول وكون صلته أنه جعل مع الله إلها آخر مشعر بضخامة العذاب وهول العقوبة لهول الذنب.

المطلب الرابع: أسلوب الشرط.

ومن أساليب القرآن الكريم في النهي عن اتخاذ آلهة مع الله، وبيان أنها شرك: أسلوب الشرط، فقال تعالى في موضع: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (١١٧)

وفي الآية الكريمة من التهديد والوعيد ما فيه، والتعبير القرآني البديع: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ غاية في التهديد والوعيد، واختيار لفظ الربوبية التي تشعر باللوم والعتاب على عدم رعاية العبد لهذه الربوبية، وخلطها بغيرها، وعدم عرفان العبد بها مبين أي بيان عن عدم توفيق هذا الذي يستجلب على نفسه غضب ربه والرب بصفاته يعم بفضله مخلوقاته،

(١) التفسير الحديث (٥/ ٣٣٨).

ويشمل بفيضه جميع الكائنات، فالمحروم من حرم هذه الرحمة على سعتها، والمغبون من جانبه هذا الفضل على اتساعه وعمومه، والمخذول من خلاه هذا التوفيق الرباني.

وقوله: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ مع أنه معلوم أنه لا يمكن أن يكون له برهان مشعر بأنه ليس لديه أي دليل ولو كان الدليل وهميا على اتخاذ هذا مع الله تعالى، فهو لا حجة له بالكفر ولا عذر يوم القيامة. كما أن تركيب الجملة بهذه الصورة، وورود الخاتمة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هذا الورود، مشعر بأنه جواب لسؤال سابق أو مستتر كأنه قيل لم كل هذا فقيل؛ لأنه لا يفلح الكافرون.

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله: (ومن يدع مع الله إلها آخر) يعبده إفرادا أو إشراكا. لا برهان له به صفة أخرى ل إلها لازمة له فإن الباطل لا برهان به، جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه، أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك: فإنما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه[1]

ومن هذا الباب قوله تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾،الإسراء: (٤٢)

قال ابن عباس: «قل لأهل مكة لو كان معه آلهة كما يقولون من الأوثان، إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا، أي: طريقا وكانوا كهيئته» .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٩٧). محاسن التأويل (٧/ ٣٠٦). تفسير المنار (١١/ ٢٠٥).

وقال قتادة: أي يعرفوا فضل ذي العرش ومرتبته عليهم. ويقال: ابتغوا طريقا للوصول إليه. وقال مقاتل: لطلبوا سبيلا ليقهروه كفعل الملوك بعضهم بعضا. ثم نزه نفسه عن الشريك، فقال تعالى: سبحانه، أي تنزيها له وتعالى عما يقولون أي عما يقول الظالمون إن معه شريكا. علوا كبيرا، أي بعيدا عما يقول الكفار.[١]

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيها لله وعلوا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة.[٢]

وهكذا تتنوع أساليب القرآن الكريم في نفي وجود آلهة مع الله تعالى وسبحان من عز عن النظير والشبيه وتعالى عن الند والمثيل.

(١) بحر العلوم (٢/ ٣١٢). تفسير ابن أبي العز جمعا ودراسة.
(٢) جامع البيان :(١٧/ ٤٥٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٧).

المبحث الرابع :

معية الرسل عليهم السلام

ومن صور المعية الواردة في القرآن الكريم معية المرسلين عليهم السلام، ويقصد بها جانبان: معية الرسل للناس، ومعية الناس لهم.

١- معية الرسل للناس:

وقد أجمل أستاذنا العلامة الدكتور عبد الستار سعيد في جمع تصور تلك المعية بصورة بديعة إذ يرى أن معية الرسل للناس جماعها في أمور منها:

١-معية التربص والانتظار وهي في جانب المدعوين بعد إقامة الحجة عليهم وتنكرهم للبرهان واعتسافهم للدليل. ومنه ما حدث مع نبي الله هود مع قومه، إذ قال الله تعالى فيهم: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾، الأعراف: (٧١)

والمعنى كما قال ابن عباس: وجب ونزل عليكم عذاب وسخط.[١]

(وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ولهذا عقبه بقوله فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٣٤) التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٣٨٢). النكت والعيون (٢/ ٢٣٤).

وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم كما قال في الآية الأخرى.)[١]

ومنه ما ورد على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾، هود: ٩٣.

يعني: (اعملوا في هلاكي وفي أمري، إني عامل في أمركم ومكانتكم،... ثم قال: سوف تعلمون، وهذا وعيد لهم، ستعلمون من هو كاذب، ويقال: من يأتيه عذاب يخزيه يعني: يهلكه ويهينه، ومن هو كاذب يعني: ستعلمون من هو كاذب.

ويقال معناه: من يأتيه عذاب يخزيه، ويخزي أمره، من هو كاذب على الله بأن معه شريكا، وارتقبوا يعني: انتظروا بي العذاب إني معكم رقيب يعني: منتظر بكم العذاب في الدنيا.)[٢]

والمعنى : اعملوا (على تؤدتكم وتمكنكم فإني على تمكني، فسوف تعلمون أينا الجاني على نفسه، والمخطئ في فعله، فذلك قوله: ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يذله ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ .. وانتظروا العذاب إني معكم منتظر.)[٣]

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٩٠). فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٤٩).

(٢) بحر العلوم: (٢/ ١٦٨). جامع البيان ت شاكر (١٥/ ٤٦٣).

(٣) تفسير البغوي: (٤/ ١٩٧). النكت والعيون (٢/ ٥٠١). تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٣٠٧).بتصرف يسير.

٢- معية الصبر والالتزام، مع ضعفاء المؤمنين الضعاف

ومنه ما ورد في أمر الله تعالى لنبيهﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾، الكهف ٢٨.

وفي الآية يأمر الله تعالى نبيهﷺ بالصبر مع هذه الفئة المؤمنة والصبر معها حتى يبلغهم رسالته، وألا يرفع بصره عنهم، وعدم الانشغال بمن غفل عن ذكر الله تعالى، واتبع هوى نفسه.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: "(واصبر) يا محمد (نفسك مع) أصحابك (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها (يريدون) بفعلهم ذلك (وجهه) لا يريدون عرضا من عرض الدنيا.

وقوله: (تريد زينة الحياة الدنيا) يقول تعالى ذكره لنبيهﷺ: لا تعد عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر)[1]

ومن روائع الآية الكريمة ولطائفها أنه تعالى قال: «واصبر نفسك» ولم يقل: «قلبك» لأن قلبه كان مع الحق، فأمره بصحته جهرا بجهر، واستخلص قلبه لنفسه سرا بسر.

---

(١) جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٦)

ويقال «يريدون وجهه» : معناها مريدين وجهه أي في معنى الحال، وذلك يشير إلى دوام دعائهم ربهم بالغداة والعشى وكون الإرادة على الدوام.)[١]

٣- المعية الممنوعة المحرمة

وتكون في حق الظالمين والمعاندين، وتقع دائما بعد نهي عنها وأمر بمفارقة أصحابها وعدم شهود مجالسهم، ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، الأنعام: (٦٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: وإذا رأيت، يا محمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناه إليك، و"خوضهم فيها"، كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها "فأعرض عنهم"، يقول: فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم "حتى يخوضوا في حديث غيره"، يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، فقهم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه)[٢]

---

(١) لطائف الإشارات:(٢/ ٣٩١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥١٢). تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ١٣٧)

(٢) جامع البيان:(١١/ ٤٣٦). تفسير البغوي - طيبة (٢/ ٣٠١). زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤١).

وهؤلاء المراد بهم المشركون أو اليهود أو أصحاب الأهواء كما منعه الله تعالى من شهودهم ومخالطتهم عقوبة لهم بالحرمان، وإبعادا لهم عن أسباب التوفيق جزاء فعلهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، الأنعام: (١٥٠)

والمعنى: فإن شهدوا فلا تشهد معهم أي لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون به ويجعلون له عديلا.)[1]

٢- معية الناس للرسل:

والمتأمل للآيات التي تناولت معية الناس للرسل يمكن أن يقسمها إلى قسمين :

✓**معية في غير أمور الدين**

مثل معية صاحبي يوسف ليوسف في السجن، ومعية إسماعيل لإبراهيم عليه السلام عندما بلغ معه السعي.

✓**ومعية في أمور الدين** وهي التي تعني الاتباع ويعبر عنها القرآن الكريم بالاستجابة والإسلام، والطاعة، والنصرة، والجهاد، والعبادة، والتوبة، ونحوها.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٢٢) جامع البيان:(١٢/ ٢١٣).

وقد سلك القرآن الكريم في بيان معية الناس للرسل مسلكين **عاما وخاصا**، فالعام هو ما ذكرت فيه المعية بصفة عامة دون تحديد صاحب المعية، وتأتي هذه الآيات **في صورة سننية قاعدية مطردة**، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، آل عمران: (١٤٦).

وكما نلاحظ في الآية الكريمة أن لفظة: (نبي) وردت نكرة بما يفيد عمومها وشيوعها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، البقرة: ٢١٤.

وفي هاتين الآيتين تبدو صورة المعية في أقوى مراحلها وفي أدق خصائصها إذ هي في مرحلة الابتلاء والاختبار والجهاد ومس البأساء والضراء والزلزلة.

والمعنى وكأين من نبي قاتل معه جماعات كثيرة ربانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربهم. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم. وما ضعفوا عن العدو أو في الدين. وما استكانوا وما خضعوا للعدو بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك[1]

(١) انظر: جامع البيان:(٦/ ١١١)، تفسير البغوي :(٢/ ١١٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤١)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥١).

معية الرسل الخاصة

وأما المسلك الخاص فقد بدا في حديث القرآن الكريم عن الرسل عليهم السلام بذكرهم صراحة، قد حفلت آيات القرآن ببيان هذه المعية، ويمكن أن نتتبعها على النحو الآتي:

- معية نوح عليه السلام

وأول ما نلمح في الآيات التي وردت عن المعية في حق نوح والذين آمنوا معه، يبدو لنا أنها من أكثر المواطن التي تكرر فيها لفظ المعية، مع نبي من الأنبياء، فقد وردت ثماني مرات وكأن في ذلك تأسيسا لأن معية الصالحين أصل في قيام الحضارة وبقاء الإنسانية أصلا، كما أن في ذلك بيانا وإشارة إلى أن قيام الجماعة المؤمنة أصل قديم في دعوة الأنبياء عليهم السلام، كما نلاحظ أن امعية نوح والإيمان بالله سبب في النجاة والفوز، فقد فصلت الآيات الكريمة بين معسكرين معسكر الخير والحق وهم من ركبوا مع نوح في الفلك، ومعسكر الشر والباطل وهم المغرقون، ولذلك دعا نوح عليه السلام ابنه ليركب معهم وقال: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، هود: (٤٢).

والعجيب أن نوحا (عليه السلام) عبر عن غير الراكبين معه بالكافرين إشارة إلى أن سبب عدم ركوبهم هو عدم إيمانهم بنوح، وعدم ثقتهم في أوامر الله تعالى، فكأنه كما انقسم الناس في أمره إلى أهل حق وأهل باطل انقسموا في النهاية إلى ناجين ومغرقين بل مؤمنين وكافرين وكأن النجاة الأولى مقدمة للنجاة في الآخرة، والهلاك في الأولى مقدمة للهلاك في الآخرة، ولعل هذا من أسرار تعبريه عليه السلام عنهم ب(الكافرين).

كما تلمح من الآيات الكريمة أن من تمام نعمة الله تعالى على المؤمنين معه أن أهلك عدوهم، وتكرر هذا في آيات متعددة، -﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾، الأعراف: (٦٤).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، يونس:(٧٣).

- معية هود عليه السلام

ومعية هود عليه السلام واضح منها أنها معية له بعد الإيمان به؛ لأنه في هذه المراحل الصعبة من عمر الدعوات لا يتبع الأنبياء إلا أولو العزائم، فهي فترات ابتلاء واختبار، ويبدو في الآيات الكريمة التي تحدثت عن معية هود عليه السلام أمور منها: التأكيد أن الإيمان والمعية هما سبب النجاة، ولذا ورد في الآيتين اللتين تحدثتا عن معية هود الربط بين المعية والإيمان، كما ورد أيضا النص على هلاك عدوهم، بل قطع دابرهم، وفي ذلك شفاء لصدور المؤمنين، وإراحة لنفوسهم.

- معية صالح عليه السلام

وفي حق صالح عليه السلام ما زال التأكيد أن المعية والإيمان سبب النجاة والعصمة، فقد ورد التلازم بين الإيمان والمعية كذلك، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، هود: (٦٦).

فما زالت البشرية في عهد بناء الجماعة المؤمنة، وفي الآية بيان لأن سبب النجاة الإيمان والمعية.

- معية شعيب عليه السلام

وفي حق شعيب عليه السلام يستمر الأمر على تباعد الزمان والمكان، بل تتضح تلازمية النصر بالمؤمنين من خلال معرفة الكافرين بهذا فلم يقتصر التهديد هنا لشعيب فقط بل هو والذين معه، وهنا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الأعراف:(٨٨).

بل تبدو سنة من سنن الله تعالى في الدعوات وأصحابها، الإخراج والإبعاد، وهي سنة تتكرر شأن السنن الماضية فقد هددوا شعيبا والذين آمنوا معه بالطرد والإبعاد حتى يعودوا في ملتم مرة أخرى، والزمن يعيد نفسه وسنة الماضية، والجواب من الو الجواب على تراخي الزمن وتباعد المكان: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾، الأعراف: ٨٨، ٨٩.

ويستمر الجواب على نفس السؤال حتى يقضي الله بالحق وينتصر الصدق ورسالة الإسلام.

إن الناقمين اليوم في أعصارنا التي نشهدها على المسلمين ليسوا ناقمين إلا لأنهم أصحاب دين وأرباب رسالة، تتغلل إلى نفوس الناس وتتلطف إلى قلوبهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

- معية إبراهيم عليه السلام

وتستمر النماذج الرائدة في المعية مع الأنبياء والمرسلين على تباعد المكان وتطاول الزمان، فنصل إلى إبراهيم عليه السلام، وتستمر آيات المعية في التأكيد على أهمية الأمة الجديدة وضرورة صلابتها في مقارعة الباطل ومنازلة الشرك إلى آخر مدى، ويبدو من الآية الكريمة مصارعة الذين آمنوا للكافرين مصارعة فكرية واضحة بان فيها إعلان البراءة منهم، وكفرهم بهم، وبدو العداوة والبغضاء أبدا حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذه نقلة في الخطاب لم تكن من قبل، تبدو فيها المفاصلة والمباينة حتى يظهر معنى الولاء والبراء، ثم الالتجاء إلى الله تعالى والتوكل عليه والإنابة إليه، والوعي العملي بأن الكل صائر إليه.

فيقولون في وضوح وشموخ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، الممتحنة:(٤)

ولأمر حكيم صدرت لآية بندب المؤمنين إلى التأسي بهذه الصفات التي لابد منها في مقارع، ثم كرر القرآن الكريم لفت أنظار المؤمنين إلى هذه الأسوة الحسنة بعد آية واحدة فقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، الممتحنة:(٦)

- معية موسى وهارون عليهما السلام

ومن جمع الآيات التي تتحدث عن معية موسى عليه السلام يمكننا أن نستبين بعض المفاهيم منها:

المعية أمر من الله من بداية الدعوة

إن المعية كانت من بداية الدعوة، وهي معية هارون أخيه له، قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الأعراف: (١٠٥).

وهذا مبني على أن الأمر بالمعية كان من بداية الدعوة: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾الشعراء: ١٦، ١٧.

فالإرسال(مقيد بالمعية في الآيات جميعا، وليس مجرد إرسال مطلق يتحرر به بنوا إسرائيل من بطش فرعون فقط، وإنما هو دخول في (معية) الجماعة المسلمة الجديدة، التي تتميز بها عن (معية) فرعون وقومه)[1]

معية موسى وموقف أتباع فرعون منها

وهذه المعية كما كانت أمرا من بداية الدعوة، وطلبا من موسى وهارون لفرعون حين طلبا أن يرسل معهم بني إسرائيل، أدركها أتباع فرعون حين أرادوا وأد الدعوة من البداية فاطيروا بها وبه وبهم فكانوا كما وصف القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، الأعراف: (١٣١).

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي: ١٤٩.

وكذلك كانت نظرة أتباع فرعون إلى موسى وهارون وقومهما حين ظهرت دعوتهم، وبدأ الناس يقتنعون بها، كما وصف القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ غافر: (٢٥).

لقد طلبوا قتل أبناء المؤمنين، ووصفوهم بالمعية والإيمان.

استنقاذ بني اسرائيل من فرعون

كما كانت المعية واضحة في نجاة هؤلاء المؤمنين، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾الشعراء: (٦٥).

والمعنى: (وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين.)[1]

- معية داوود وسليمان عليهما السلام

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن معية داوود وسليمان عليهما السلام بان لنا عدد من الملامح - من خلال رصد الآيات الكريمة الخاصة بمعيتهم منها:

المعية هنا ليست معية البشر فقط

أن الآيات الكريمة التي تحدثت عنهم لم تتحدث عن معيتهم للبشر، فقد كانا ملكين ومعية الناس لهم ليست مستغربة ولا منكرة وهم لم يكونا بحاجة إلى دعوة الناس إلى معيتهم، بل ظهرت معية أشياء أخرى مثل معية

(١) جامع البيان :(١٩/ ٣٦٠).

الجبال والطير كما قال تعالى﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: ص: ١٨، ١٩.

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾،سبأ: (١٠).

كما نصت الآيات على معية بلقيس ملكة سبأ وقومها، وهم من كانوا (مظنة امتناع عن معية سليمان لما كان لهم من دولة وقوة وجيش وحضارة وغنى وسلطان، فأثبت القرآن هذه المعية على لسان الملكة نفسها حين قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، النمل:(٤٤).

- **معية عيسى عليه السلام**

وأما نبي الله عيسى (عليه السلام) فلأنه لم يكن مؤسسا لأمة جديدة، بل متمما ما بدأه أخوه موسى عليه السلام ـ فإن الحديث عن معيته قد ورد على لسان الحواريين كما قال تعالى:﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، آل عمران: ٥٢، ٥٣.

أي: (نحن أنصار الله ومن ينصر الرسول فقد نصر الله مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَّ [النساء ٨٠] نحن أنصار الله آمنا به إيمانا صادقا واتبعنا رسله واشهد بأنا مسلمون إذ الإسلام في جوهره لا يختلف فيه دين عن دين.

ربنا آمنا وصدقنا بما أنزلت في كتابك واتبعنا الرسول عيسى ابن مريم، فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك بالصدق)[1]

- معية محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

وإذا انتقلنا إلى النبي (ﷺ) وبيان المعية في حقه فاجأنا أن آيات المعية في حقه هي أكثر المواطن ورودا في القرآن الكريم، وأكثرها تفصيلا بين خاص وعام، والخاص فيه تفصيلات دقيقة يأتي بانها، لكن الإشارة الواضحة هنا في الآيات أنه كما أن الأمة الخاتمة تحتاج إلى جهد في تأسيسها وبنائها فهي كذلك وبهذا القدر تحتاج إلى طول معية وصحبة للرسول ﷺ، في حياته لشخص، وبعد وفاته لسنته ومنهاجه، وكلما اقتربت الأمة من سنته ودخلت في معيته كلما اقتربت من النجاة والفلاح، والعز والنجاح، وكلما ابتعدت عن منهاجه كلما ضلت سبيلها وتنكبت طريقها.

قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، التوبة: (٨٨).

فربط الله تعالى حصولهم على الخيرات والفلاح بالإيمان والمعية والجهاد بالأموال والأنفس.

وإذا حصرنا الآيات التي تناولت تلك المعية المباركة وجدنا أنها سارت **في محورين رئيسين:**

---

(١) التفسير الواضح (١/ ٢٣٦).

محور عام وآخر خاص

فالمعية العامة هي التي تناولت أمور الدين والرسالة جملة، وفيها حديث إلى المدعوين عامة من مثل : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، (٢٨)، وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾، الأنبياء: (٢٤).

وقد كانت هذه المعية واضحة وظاهرة حتى في أذهان المشركين إذ قالوا: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾،القصص: (٥٧).

والمعية الخاصة وهي التي بدا فيها معيته ﷺ للمؤمنين، وتنوعت هذه المعية وكثرت صورها فمرة تكون في الجهاد كقوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾التوبة: ٨٨.

ومرة في عتاب المنافقين المخلفين عن الجهاد كقوله: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾، التوبة: (٨٦).

ولذا أرشده الله تعالى إلى حرمانهم من هذه المعية، فقال: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾، التوبة: (٨٣).

- ومرة في صلاة الخوف كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾النساء: (١٠٢).

- ومرة تكون في الهجرة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ الأحزاب: (٥٠).

ومرة في تعليم المؤمنين منهجية التعامل مع النبيﷺ وعدم تركه إلا بإذن، تربية لهم على أخلاق المدنية، وأخذا بأيديهم إلى طرق الدولة، وسلوك الأمم والحضارات، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾النور: (٦٢).

المبحث الخامس :

آثار المعية الإلهية

للمعية أثر لا ينكر، وفضل لا يخفى، فمعية الله سر النجاح ولب الفلاح، ومدار الهداية والتوفيق، والنصر والتأييد، والحفظ والرعاية والحياطة والعناية، فمن كان الله معه فمن يكون عليه، ومن كان الله عليه فمن يكون معه، وقد قال قتادة: «من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل»[١]

ومن آثار المعية ما يأتي:

المطلب الأول : المراقبة.

المراقبة من أهم آثار المعية، سواء كانت المراقبة من قبل العبد لربه أم من الله (تعالى) لعبده، وإن كان الأغلب فيها مراقبة العبد لربه ونظره له ومشاهدته إياه في أعماله وسلوكه، والمقصود من المراقبة: (استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله.)[٢]

وهو حين يتحقق بهذه الصفة ويتحلى بهذا الخلق، يصل إلى معاني تملأ عليه نفسه بالخير والرضا واليقين والثبات، فهو في معية الله تعالى يشعر بمراقبة الله له فيجله عن أن يراه على غير ما يرضيه، أو يفقده فيما يرضيه،

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٤٠). القصاص والمذكرين (ص: ٢٥٩.

(٢) التعريفات: ٢١٠.

وهذا المعنى هو الوارد في حديث الإيمان، إذ يقول الرسول (ﷺ) لجبريل حينما سأله عن الإحسان: (: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»)[١]

وقد غرست آيات المعية الواردة في القرآن الكريم هذا المعنى في نفوس المؤمنين بصور شتى، وألوان متعددة، ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، طه: ٤٣-٤٦.

أي إنني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي فلا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي)[٢].

وفي هذا طمأنة لهما بأن فرعون ليس بالذي يصل إلى قتلهما حتى يبلغا الرسالة. وأراد بذلك سبحانه تقوية قلوبهما وأنه متول لحفظهما وكلاءتهما)[٣]

وقال ابن عباس في معنى الآية الكريمة: أسمع دعاءكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فأمنعه[٤]

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٩)، صحيح مسلم (١/ ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٦/ ١٢٤، (٥/ ٢٦١). مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢٧).

(٣) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٢٦١). فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١١

(٤) معالم التنزيل: ٥/ ٢٧٦، التفسير الوسيط (٣/ ٢٠٨.

ولذا قال موسى(عليه السلام) الآن لا أبالى بعد ما أنت معي.[١]

(قال لا تخافا أي من فرطه وطغيانه إنني معكما أي بالحفظ والنصرة أسمع وأرى أي ما يجري بينكما وبينه. فأرعاكما بالحفظ.[٢]

وقد دل الله تعالى عباده على تصور هذه المعية من خلال تعريفهم أن عليهم حافظين، كراما كاتبين فليكرموهم وليراقبوا أنفسهم في ضوء معرفة هؤلاء الكرام بهم، ولذا قال صاحب لطائف الإشارات: (حشمتهم من اطلاع الحق، ولو علموا ذلك حق العلم لكان توقيهم عن المخالفات لرؤيته- سبحانه، واستحياؤهم من اطلاعه- أتم من رؤية الملائكة.)[٣]

المطلب الثاني : النصر والتأييد.

ومن آثار المعية نصر الله تعالى لعبده الذي يكون في معيته، وتأييده له، وقد نصت آيات القرآن الكريم على هذا الأثر من آثار المعية النصر والتأييد، فالله تعالى يمد عبيده بنصره ويؤيدهم به ومن هنا دعاهم إلى عدم الهوان أو التفريط والتسليم والتنازل والتخاذل، فهم أولوا المعية وأصحاب نصر الله وتأييده، قال تعالى-آمرا عباده بمراعاة أثر هذه المعية من النصر والتأييد- : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾، الأنفال:(٣٥)

---

(١) لطائف الإشارات:(٢/ ٤٥٨.

(٢) محاسن التأويل : (٧/ ١٢٧).

(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٦٩٨).

والمعنى: (أنتم الأعلون بالنصرة. وهو (تعالى) معكم بالحفظ، والمعونة،[١]، والتأييد والتسديد، ومن كان الله معه بنصره فمن يغلبه، ومن كان معه بتأييده فمن يعلوه، ومن كان معه بتسديده فمن يصرفه عن طريق الهدى، أو يشغب على منهاجه المستقيم؟

إن في ذلك لكل من غلب على حقه، وأوذي في الله أن يستصحب معية الله ويتحقق بها، ففيها بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء وقد قال تعالى في الآية نفسها :(ولن يتركم أعمالكم)، أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا[٢]

وشعورهم بأن الله معهم، بالعون، والنصر، والتأييد، موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.)[٣]

ولذلك رأينا رؤوس المصلحين والدعاة الصادقين على تباعد المكان وتطاول الزمان في أتون المحنة يهشون للعطاء ويستروحون نسائم المنح فنسمع شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في محنته يقول: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

---

(١) لطائف الإشارات:(٣/ ٤١٥). تفسير السمعاني (٥/ ١٨٥). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٢٩) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٢٣). الجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٢٥٦). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٧/ ٢٩٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٢٣).

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.[١]

ونسمع تلميذه ابن القيم ينقل عنه قوله: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه..[٢]

وفي اشتداد الصراع بين الحق والباطل، وهو سنة من سنن الله الجارية، والتي لا تتبدل ولا تتحول ينبههم سبحانه على معيته لهم المقتضية للنصر والعون والتأييد والتسديد، فيقول ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦)

وفي حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وسنة من سنن الله تعالى فيها يبين عز وجل أن معيته ونصره وتأييده مع عباده الصابرين فيقول: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢٤٩)

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٣).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٤.

وهذا إعلام منه تعالى ذكره عباده المؤمنين به أن بيده النصر والظفر والخير والشر.)[١]

وأن هذا النصر ليس بهم بل بإذن الله، بمشيئته وعونه ونصرته، والله مع الصابرين بالنصرة والتأييد والقوة والمعونة.)[٢]

وأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم.)[٣]

وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم، ومنه في مقام دفع الكفار والحملة عليهم يرد قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣)

وقد قال بعض الصحابة: إنما تقاتلون الناس بأعمالكم وأهلها هم المجدون في طرق الحق فوعد تعالى أنه مع أهل التقوى ومن كان الله معه فلن يغلب.[٤]

ومن روائع صاحب المنار وبدائعه أن يربط معنى التقوى لله تعالى بالسنن فيرى أن تقواه تعنى أيضا مراعاته في أحكامه وسننه، حتى يستجلب نصره وتستدعى معونته، فيرى أن المتقين هنا هم المتقون له في

(١) جامع البيان ت شاكر (٥/ ٣١٦)

(٢) لطائف الإشارات: (١/ ١٩٤). تفسير السمعاني (١/ ٢٥٣) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٢٦)

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٠٨

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٩٨. فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٧٤).

مراعاة أحكامه وسننه بالمعونة والنصر، وأهمها ما يجب اتقاؤه في الحرب، من التقصير في أسباب النصر والغلب التي بينها في كتابه، والتي تعرف بالعلم والتجارب، كإعداد ما يستطاع من قوة، والصبر والثبات، والطاعة والنظام، وترك التنازع والاختلاف، وكثرة ذكر الله، والتوكل عليه فيما وراء الأسباب، .)[١]

وفي معيته تعالى للملائكة يؤيدهم وينصرهم، ويعينهم ويثبتهم، ويأمرهم بتثبيت المؤمنين ونصرهم إذ يقول: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

وفي هذا تعهد من الله تعالى بإعانة أهل الإيمان الحق، وبنصرتهم على غيرهم ولو كانوا ثلة قليلة، ما تمسكوا بإيمانهم وثبتوا على دينهم، وكانت صلتهم بالله موصولة غير مقطوعة.[٢]

والمعنى: إني أعينكم على تنفيذ ما آمركم به من تثبيتهم على قلوبهم، حتى لا يفروا من أعدائهم على كونهم يفوقونهم عددا وعددا ومددا – إعانة حاضر معكم لا يخفى عليه ولا يعجزه شيء من إعانتكم، والوعد بالإعانة وحده لا يفيد هذا المعنى كله، ففي المعية معنى زائد على أصل الإعانة نعقل منه ما ذكر ولا نعقل كنهه وصفته.[٣]

---

(١) تفسير المنار (١١/ ٦٦.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٣١٤).

(٣) – تفسير المنار (١٠/ ١٠٧.

ومعنى﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾أي : بالعون والنصر والتأييد، ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.)[1]

المطلب الثالث :التوفيق والمحبة.

ومن ثمرات المعية: **التوفيق والمحبة**، والدلالة على سبل الرشاد، وطرق الهداية، وتلك لها مقدماتها التي تفضي إلى نتائجها، وأسبابها التي تعين على الوصول إليها، وقد قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾، العنكبوت: (٦٩).

إن هذه المعية التي أدت إلى الهداية والتوفيق والمحبة ليست من فراغ بل بنيت على جهاد ومجاهدة، وصبر ومصابرة، ودلالة (فينا) على جهة الجهاد وصدق النية فيه وتمحض المقصود به ما فيه، ومعنى المعية هنا: بالعون والنصر والهداية[2]

وإذا تتبعنا أقوال المفسرين في دلالة المعية هنا وجدنا أكثرهم يركز على أن المقصود بها هو النصر، والمقام هنا ليس مقام صراع بين فئتين بل صراع بين النفس البشرية ومتطلباتها، أو صراع بين المحبوب والمكروه، والنصر هنا هو نصر الهداية والتوفيق والدلالة على سلامة المنحى وصحة الطريق.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٣٦.

ولذا قال الإمام الشوكاني رحمه الله: المعية هنا بالنصر والعون، **ومن كان معه لم يخذل**)[١].

المطلب الرابع : الحفظ والرعاية.

ومن ثمرات المعية كذلك حفظ الله ورعايته لمن كان في معيته.

وتبدو هذه المعية وتظهر آثارها في الحفظ والرعاية في مقام الدعوة فيبين لهم تعالى أنه حافظهم وراعيهم؛ حتى يطمئن أصحاب الدعوات والذين يكونون في معيته تعالى أنهم محفوظون ومراعَوْن من قبل ربهم فهو ناصرهم ومعينهم ومؤيدهم ومثبتهم، كما قال تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾، النحل: ١٢٧، ١٢٨.

والمقصود من معيته تعالى هنا أنه سبحانه يعينهم ويحفظهم من مكر الأعداء بهم، وينصرهم عليهم، فهي معية رعاية وحفظ.)[٢]

ودلت آيات كثيرة على هذا المعنى منها قوله تعالى في حق النبيﷺ وصاحبه إذ هما في الغار: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة:(٤٠).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٤٥). اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٣٨٠).

(٢) التفسير الوسيط :(٥/ ٧٠٨). معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٢٤). النكت والعيون (٣/ ٢٢٢.

وأي فضل أعظم من هذه المعية التي ينال بها صاحبها السكينة والتأييد وعلو الكلمة وأصبح في جوار العزيز الحكيم، ومعنى إن الله معنا: معنى» إن الله معنا» أي بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة[١]

والمعنى: إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصره فسينصره الله كما نصره. إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه إلا رجل واحد، .... أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره، ...إذ يقول لصاحبه وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا تحزن إن الله معنا بالعصمة والمعونة.)[٢]

وتلك سنة الله تعالى في رسله وأنبيائه، وهي ماضية مع عباده المؤمنين الذين نالوا شرف معيته عز وجل، فكما كان للمعية أثر الحفظ والرعاية مع رسولناﷺ وصاحبه، كان لها نفس الأثر مع موسى وهارون من قبل، حينما أمرهما الله تعالى بالذهاب إلى فرعون لبلاغ الرسالة، واستخلاص بني إسرائيل من قهره وسخرته،﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾طه: ٤٥، ٤٦.

والمراد (لا تخافا مما عرض في قلبكما من الإفراط والطغيان لأن ذلك هو المفهوم من الكلام يبين ذلك أنه تعالى لم يؤمنهما من الرد ولا من التكذيب بالآيات ومعارضة السحرة و قوله: (إنني معكما) عبارة عن الحراسة والحفظ... وأكد ذلك بقوله: أسمع وأرى فإن من يكون مع الغير وناصرا

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ١٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٤/ ١٣٦. محاسن التأويل (٥/ (٤١٩

له وحافظا يجوز أن لا يعلم كل ما يناله وإنما يحرسه فيما يعلم فبين سبحانه وتعالى أنه معهما بالحفظ والعلم في جميع ما يناهما وذلك هو النهاية في إزالة الخوف قال القفال قوله: أسمع وأرى يحتمل أن يكون مقابلا لقوله: أن يفرط علينا أو أن يطغى والمعنى: يفرط علينا بأن لا يسمع منا: أو أن يطغى بأن يقتلنا فقال الله تعالى: إنني معكما أسمع كلامه معكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا أتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي.)[1]

وهذا ما كان، فقد تحقق وعده (عز وجل) سواء في بلاغ الرسالة أو في حفظ موسى وهارون من فرعون وجنده، وتيقن موسى من هذا حتى مع ما كان في قلبه في بداية الدعوة من خوف بشري فطري جعله يقول ما يقول، إلا أننا نراه في موقف أشد وأحد في موقف عبور النهر يقول لقومه رادعا لهم وزاجرا عن أوهامهم عندما قالوا إنا لمدركون: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الشعراء: (٦٢).

فنبههم موسى أن ليس الأمر كما ذكرتم، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين، يقول: سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه وسيكفيني، أي للنجاة، وقد وعدني ذلك، ولا خلف لموعوده »).[2]

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٥٤. تفسير القرآن العظيم :(٥/ ٢٩٦). اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٢٥٨). تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٦). تفسير التستري (ص: ١٠٣).

(٢) جامع البيان: (١٩/ ٣٥٦) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١٨.

وفي بيان موسى عليه السلام هذا البيان ورده على قومه بهذه الشدة(كلا) ما فيه من توكيد ويقين وثقة واطمئنان إلى قدرة الله الحافظ ونصرته وهو المعين(كلا. في شدة وتوكيد. كلا لن نكون مدركين. كلا لن نكون هالكين. كلا لن نكون مفتونين. كلا لن نكون ضائعين «كلا إن معي ربي سيهدين» بهذا الجزم والتأكيد واليقين.

وفي اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون)[1]

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٩٩).

الخاتمة،

أسأل الله حسنها

وبعد:

فهذه رحلة قرآنية ماتعة نافعة، نستطيع من خلالها أن نترسم بعض السبل ونقف أمام بعض الملامح والمعالم في المعية منها:

١- ورود لفظ المعية في السور المكية والسور المدنية وكأن فيها إشارة إلى أهميتها وضرورتها في حياة المؤمنين وأنهم لا يستغنون عنها في حال من أحوالهم.

٢- أن المعية أنواع، منها: معية الله لعباده ومعية العباد لله وتلك الثانية غير جائزة لمنافاتها للعقيدة الصحيحة ومعية العباد بعضهم لبعض أو لما حولهم من الأشياء

٣- أن معية الله تعالى لعباده نوعان معية عامة ومعية خاصة، والأولى تعني العلم والإحاطة، والرزق والتدبير والرعاية، والثانية الخاصة يمنحها الله (تعالى) لعباده المؤمنين الذين استجمعوا صفات يحبها الله ويدعوهم إليها، وهي عندئذ تعني النصر، والمعونة، والتأييد، والرعاية، والرحمة، والعناية، أو رفع الدرجات أو تكفير السيئات، أو الإكرام في الحياة، ونحو ذلك مما يستحقه المؤمنون الصالحون.

٤- تنوع أساليب القرآن الكريم في نفي معية غير الله معه ونفي وجود آلهة معه، من خلال النفي الصريح، والنهي الصريح والاستفهام الإنكاري، والخبر التهديدي وأسلوب الشرط.

٥- أن معية الرسل للناس تنوعت كذلك بين معية تربص وانتظار ومعية صبر والتزام ومعية ممنوعة محرمة، وهي معية الظالمين المجرمين المستهزئين بالدين.

٦- أن معية الناس للرسل تكون معية في غير أمور الدين أو في أمور الدين وهي التي تعني الاتباع ويعبر عنها القرآن الكريم بالاستجابة والإسلام، والطاعة، والنصرة، والجهاد، والعبادة، والتوبة، ونحوها

٧- أن لمعية الله (تعالى) لعباده آثارا باهرة ظاهرة نسأل الله أن ننال فيضها وعطاءها، ومنها معية المراقبة النصر والتأييد التوفيق والمحبة. الحفظ والرعاية.

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٣-الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٤- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٧- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٨- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٩- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٠- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ،لحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

١١- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).

١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،.

١٣- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٤- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٥- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ٤٣٠هـ

١٦- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ

١٧- تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)،الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

١٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

١٩- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)،المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

٢١- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٢٣- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٤- التفسير الميسر، : مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٢٦- التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد –بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ

٢٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

٢٨- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٠- التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

٣١- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣٣- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،ت حقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م،

٣٤- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م حلية الأولياء.

٣٥- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٦- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٣٨- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٩- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،

٤٠- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)،ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٤٢- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٤٣- غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٤- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٤٥- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

٤٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى]

٤٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٩- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)،المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٥٠- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)،المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨

٥١- محاسن التأويل: المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥٣- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٤- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٥٥- المدخل إلى التفسير الموضوعي لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط:دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية،١٤١١هـ،١٩٩١م مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني، إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول : مفهوم المعية	٥
المبحث الثاني : أنواع معية الله تعالى لعباده	١٩
المبحث الثالث: أساليب القرآن في إنكار وجود آلهة مع الله ...	٢٨
المبحث الرابع : معية الرسل عليهم السلام	٤١
المبحث الخامس : آثار المعية الإلهية	٥٧
الخاتمة	٦٩
أهم المصادر والمراجع	٧١

هذا الكتاب

جزء من مشروع علمي ولبنة من لبنات بنائه، يبتغي صوغ منظومة قرآنية في زاوية التفسير الموضوعي يسعى إلى رصدها ومراكمة بعضها فوق بعض، حتى يستطيل هذا الصرح وهو يدور حول المعية

ورد لفظ المعية في السور المكية والمدنية، وكأن فيها إشارة إلى أهميتها وضرورتها في حياة المؤمنين.

فنرى شرحاً وافياً لمعية الله لعباده، وتبيينَ عدم جواز معية العباد لله لمنافاتها للعقيدة الصحيحة، كما أفضنا الكلام عن معية العباد بعضهم لبعض أو لما حولهم من الأشياء.

وإذا كان الله معك، فهذا يعني وجود نوعين: معية عامة، وما فيها من العلم والإحاطة، والرزق والتدبير والرعاية، ومعية خاصة، يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين استجمعوا صفات يحبها الله ويدعوهم إليها.

وتنوعت أساليب القرآن الكريم في نفي معية غير الله معه ونفي وجود آلهة معه، من خلال النفي والنهي الصريحين والاستفهام الإنكاري، والخبر التهديدي وأسلوب الشرط.

ولم يغفل الكتاب معية الرسل للناس التي تعني الاتباع، وهي تتنوع بين معية تربص وانتظار ومعية صبر والتزام ومعية ممنوعة محرمة، وهي معية الظالمين المجرمين المستهزئين بالدين.

ونرى جلياً الآثار الباهرة الظاهرة في معيته سبحانه لعباده. نسأل الله أن ننال فيضها وعطاءها. آمين.

9 789772 789207

01012355714 - 01152806533
darelbasheerealla@gmail.com
elbasheer.marketing@gmail.com
www.darelbasheer.com

دار البشير للثقافة والعلوم